صورة المرأة الأمريكية في الرواية العربية المعاصرة

د. شريفي عبد الواحد
أستاذ الأدب المقارن
جامعة وهران

توطئة :

يحلل هذا البحث صورة المرأة الأمريكية كما انعكست في مرآة الرواية العربية المعاصرة ، بموضوعية وبعيدا عن منطق العوا طف . فهو (أي البحث) ينتمي إلى تلك الدراسات التي تعالج نظرة الشعوب إلى بعضها ، والتي نالت ، في العقود الأخيرة ، اهتمام المقارنين العرب . و" لايخفى أنّ للصورة الأدبية للشعوب – كما تنعكس في مرآة آدابها – تأثيرا عميقا في علاقاتها بعضها ببعض ، أيّا كان نوع تلك العلاقات ، ولها كذلك تأثير على عقول قادة الأمّة من الساسة والمفكرين في تكوين رأي عام قد ينتج عنه اتجاه خاص في علاقاتها مع غيرها . " (1)

إذن : إنّ الأسئلة الأساسية التي يتوخى هذا البحث معالجتها هي :

- كيف ينظر الروائي العربي إلى المرأة الأمريكية ؟

- كيف تشكلت عناصر هذه الصورة في مخيلته ؟ وهل كان هذا الروائي واقعيا في نظرته إلى هذه الشخصية ؟

وقصد إبراز هذه الصورة جرى اختيارنا على أربع روايات عربية تعود إلى الأردن ولبنان والمغرب ، أي أنّنا حاولنا تغطية رقعة معتبرة من الوطن العربي (المشرق والمغرب) حيث يغدو للنماذج المختارة مصداقية أقوى في الدلالة على المشهد الروائي العربي ...

ولعل أهمّ ما تتسم به هذه الروايات المنتقاة أنّها تصور أربعة نماذج نسوية مختلفة في السلوك والتفكير (الأمريكية المومس / الأمريكية – الواعية / الأمريكية المغتربة / الأمريكية العربية) . وهذه الروايات – التي تتفاوت نسبيّا في طموحها وسعيها الفني – لاتذهب إلى مركز الآخر (الولايات المتحدة الأمريكية) وإنّما تأتي بالآخر (المرأة الأمريكية) إلى الوطن العربي .

1 - الأمريكية المومس

في رواية "الضحك" (1970) للروائي الأردني غالب هلسا (2)، نلتقي بالأمريكية كلارانس التي جاءت إلى مصر لتكرّس نفسها للدعارة والجنس.

إنّها امرأة متمرّدة، رافضة لجميع القيم والمبادئ الأخلاقية، هجرت زوجها (الرجل المعقد الذي يعاشر العاهرات) وأولادها (الذين فشلوا في دراستهم) وكل ما تملك (بيتها - سيارتها ...) لتمارس نوعا من عبادة الجنس، حفلات جنسية صاخبة ...

وكلارانس امرأة عجيبة لا تؤمن بشيء: لقد ملّت الحياة في الغرب وكرهت زوجها وأصدقاءها ورجال الدين ... ويبدو أنّها قررت - وهي تسافر إلى مصر - الدخول إلى الحياة من أبوابها الخلفية القاسية ... نراها تتجول في شوارع القاهرة وأزقتها الضيقة، بنظرة تائهة وبسمة مستمرّة،

لاصطياد الصعاليك والبطالين، تضع في أيديهم النقود وتطلب منهم أن يمارسوا معها الجنس ... وهي لم تكن تدقّق لا في اختيار الأشخاص (عمال، سائقو الحافلات، عابرو السبيل ...) ولا في انتقاء الأماكن، تمارس الجنس في

التلال المحيطة بالمدينة ، داخل الكهوف المظلمة ، وفي الفنادق الرخيصة . يقول أحد أصدقائها :

" كنت أطفئ النور وأقف أمام الشباك المطلّ على الفضاء الخلفي للعمارة ، فأراهم يقفون في الظلام ويتهامسون . أسمع شباك كلارانس يفتح ... وللفور ينفصل أحدهم ويتسلق ماسورة المياه ، ويختفي في داخل الحجرة . أسمع الهمهمة والعذاب ... " (3)

كانت كلارانس – أثناء إقامتها في القاهرة – تقضي معظم اوقاتها في تعاطي المخدرات والويسكي أو في اصطياد الرجال الأقوياء القادرين على إشباعها جنسيّا . فهي تحب أن تمنح جسدها للأقوى أي للذي يقبل أن يلبي رغباتها . أينما تسير يتجمّع حولها عدد من المتسكعين يدققون النظر فيها ويطلقون قهقهات عالية ... لقد وجدت جثتها ، يوما ، ممزقة ، ومجرّدة من جميع ملابسها ...

في الحقيقة ، إنّ كلارانس التي تحوّلت إلى مومس (ليس لها متنفس سوى تعاطي الجنس) ، هي نتاج للحضارة الأمريكية : امرأة منهارة نفسيّا ومعنويّا تقيم في كل مكان حفلات الصخب والجنون ، كائن هارب من حضارة

الصقيع والحديد للبحث عن الدفء والفحولة الحقيقية ...

إنّها ترمز إلى الغرب الرأسمالي الذي دخل الحياة العربية مدعيا تقديم خدمات حضارية ، بينما كانت أهدافه الحقيقية امتصاص دماء الشعوب وإقحام أبناء البلد في متاهات وأمراض لا نهاية لها ... هذا الغرب الذي أفل – تدريجيا – نجمه ، وتحوّل إلى حضارة قاسية ، متعفنة ، تغتصب الضعيف وتقهر الفقير ...

ومن الواضح أنّ غالب هلسا قد جهد نفسه في رسم شخصية كلارانس ، قصد خدمة أفكاره الجوهرية ولا سيّما التعبير عن الإحساس المرّ بالانسحاق والهزيمة (غداة نكسة جوان 1967 التي شاركت الولايات المتحدة في صنعها) .

فالجنس – عنده – لا يتحول إلى وسيلة من وسائل السعادة إلاّ إذا توفرت شروط عدّة مثل الحرية والعدالة والمحبة ... وقد يعني الخنوع والخضوع في حالة ارتباطه بالاغتصاب والامتهان والقهر ... فهو مرتبط بالحياة ، بما يجري في الواقع من أحداث متناقضة ...

2 - الأمريكية المغتربة :

في رواية " الخماسين " (1975) للروائي غالب هلسا أيضا ، تفاجئنا الأمريكية ليزا بصخبها وثرثرتها وأسئلتها . وليزا - التي تبلغ من العمر أربعين سنة ، والتي تختلف كثيرا عن كلارانس - هاجرت إلى مصر سنة 1959 واستقرت فيها أكثر من خمسة - عشر عاما ... إنها شديدة التعلق بالقاهرة ، تحب أن تشاهد حضارات جديدة وأناسا يختلفون عن الأمريكيين في سلوكهم ونمط معيشتهم ونوعية علاقاتهم الاجتماعية . تقول لصديقها غالب (البطل) :

" - أنا في القاهرة منذ عام 1959 ... بعد حرب 1967 أخرجوني ، أخرجوا كل الأمريكيين في مصر ... عشت عامين في اسطمبول ... رجعت إلى القاهرة في عام 1969 ، وها أنا ذا هنا ... لماذا جئت إلى مصر ؟ لماذا هجرت زوجي وأطفالي ؟ في الحقيقة أردت أن أشاهد حضارات جديدة وأناسا لم أرهم من قبل . أردت أن أرى أشياء مختلفة . " (4)

ومن الملاحظ أنّ ليزا الشقراء التي أتعبتها الحضارة الأمريكية ، تحنّ

هي – الأخرى – إلى المناخات الاستوائية البدائية والشموس القاسية . فهي ترفض أساليب الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية المريضة بأكثر من علة وداء ، وتنتقد الحضارة الغربية لأنها اختصرت المسافات وقضت على الانسجام الروحي والراحة الانسانية ، وهدرت كرامة البشر . إنّها لا تريد شيئا آخر في مصر التي أوت إليها سوى أن ترتاح من المشاكل كيفما كان نوعها ، راحة البال والضمير . تقول :

" هناك حيث كنت أنا ، الجميع يندفعون بسرعة . كان يضايقني أن الوقت يتحكم في الناس ... الجميع هناك يعيشون في دائرة ضيقة يموتون لو خرجوا منها – مثلما يحدث للسمك خارج الماء – ... [الأمريكيون] لا يهتمون بشيء سوى ثلاجاتهم الضخمة ، والبحث عن الأمان ... حتى الأغنياء منهم يخافون المستقبل ... هنا في القاهرة الناس يأخذون المسائل ببساطة وهم مرحون مسترخون ... " (5)

في الحقيقة ، إنّ ليزا ، المرهفة الحسّ ، هي نموذج المرأة الهاربة من مشاكل الولايات المتحدة الأمريكية

الخاضعة لسيادة العلاقات الانتاجية الرأسمالية ... نراها تصف الوحشية التي يتصف بها النظام الأمريكي بمرارة : فهي تُدين بقوة الرأسمالية ، وتُدين الصناعة والعمل الأمريكيين اللذين مسخا الانسان من أجل المنفعة ، وتُدين نوعية العلاقات الاجتماعية التي تفتقد إلى الحرارة والمحبة ... لقد جعلها التطاحن الانساني في أمريكا تفقد ثقتها في إمكانية التعايش السلمي ، فخاب إيمانها بحضارة الغرب التي كشفت بوضوح عن جوانب الشرّ فيها (استغلال/ اغتصاب / قلق ...)

مأساة ليزا أنّها لم تتمكن - حتى في القاهرة - أن تتخلص من الفراغ والاختناق والخوف ... فهي لا تحاول أن تمنطق سلوكها وفقا لمنظور خاص أو أن تعيش بحرية الحياة التي اختارتها لنفسها ... نراها تعاني اليأس والخوف والقلق وتغرق في آلام دفينة بسبب نظرتها إلى الماضي والمستقبل . والعجيب في الأمر أنّها تعيش مع الذكور علاقات وحسب ، علاقات تركت في نفسها آثار سلبية . لقد حاولت أن ترتبط بالبطل غالب ولكنّها كانت تنتهي دائما معه إلى الفشل . ويتضح - منذ البداية - أنّ

العلاقة بينهما هي علاقة غير قائمة على أسس مشتركة : فغالب بطل مهزوم ، مشلول الإرادة ، يعيش جوّا يفتقد إلى الاستقرار ويبحث عن الأنثى التي تتفهم قضيته ومحنته . وهي (ليزا) تتصرف بعشوائية ، تائهة ، وعاجزة على تحريره من خوفه وإخراجه من محنته وبعث الحياة في روحه ... لقد أسهمت بشكل مباشر في تعميق أزمته النفسية . يقول :

" أتاني الشعور المؤلم بالمأساة ، بتوقعها . كان إحساسا بأنّ ليزا وقد بلغت قمة أنوثتها ونضجها فليس أمامها الآن سوى أن تنحدر وتذبل ، وفي يوم ما سوف تكتشف أنّها أصبحت عجوزا للغاية وأنّ ليس وراءها أيّ رصيد سوى هذه الحياة ، الحياة الفارغة . وأراها عجوزا طريفة مضحكة ، تدب في شوارع سان فرانسيسكو ، غير قادرة على إثارة شيء سوى العطف والازدراء المستور بتهذيب بارد ... (6)

يتضح مما سبق أنّ الروائي غالب هلسا يصوّر – من خلال ليزا وغالب – وضعيتين متأزمتين . فلئن كان الإنسان العربي يعاني من احباطات تاريخية ، فإنّ الإنسان الأمريكي ليس في وضع أفضل ، إنه هو الآخر يعاني من

المتاعب التي خلقتها حضارة الغرب نفسها ، إذ أنّ المجتمع الأمريكي ، وعلى الرغم من تطوره وتقدمه ، خلق أناسا مشوهين ، وتائهين يعانون أزمات حادّ ة ، وغير قادرين على حلّ مشاكلهم ...

إنّ ليزا وغيرها من الشخصيات الروائية (محمد الغاني ، آدي الأمريكي ، الفتاة الدانماركية ...) تسير كلها في الاتجاه الذي رسمه الكاتب ليخدم فكرته الأساسية : التعبير عن هموم الإنسان في عالم لزج يبعث على الأسى والألم ويترك الإنسان كيانا ضائعا مرهقا . إنّها (الشخصيات) تلعب أدوارا مهمة في البناء العام للرواية ، وتعكس التناقض الذي يسود العالم ، لوحات تحقق وظيفة الرمز الكلي للنص ...

3 - الأمريكية الواعية :

في رواية " عودة الطائر إلى البحر " (1969) للروائي اللبناني حليم بركات (درس وأقام في الولايات المتحدة الأمريكية) (7) ، نلتقي بالأمريكية باميلا ، الفتاة المثقفة الواعية التي قرّرت أن تتخلّى على أهلها وعملها في أمريكا ، وأن تسافر مع حبيبها صفدي

إلى لبنان من أجل خدمة الوطن العربي ... فهي ترافقه في كل مكان ، في نيويورك وبيروت وعمان ، في الشوارع والمطاعم والمكتبات ... صدرها العامر بالحنان يحوله – في بعض الأحيان – إلى طفل لا حول له ولا قوة ...
وباميلا الأمريكية فتاة ذكية ، جميلة ، شقراء ... عيناها الزرقاوان تبرقان حيوية ، وجسدها الرشيق يعكسُ نشاطا خارقا ... تتحدث بلغة شاعرية فذة ، وترتدي – في أغلب الأحيان – فساتين قصيرة منحسرة ... تقرأ باستمرار ، وتضحك بمرح ، وتمنح حبيبها الدفء والحرارة ، العذوبة والحنان ....

هذه بعض الصفات التي تميز باميلا الأمريكية ...ويبدو أنه لا يمكن فهم أبعاد هذه الشخصية بدون تحليل شخصية البطل رمزي صفدي ، الرجل المغترب الذي ينتقد بشدة الواقع العربي ، معلنا إفلاسه وانسداد آفاقه . فشخصية باميلا موظفة أساسا لتوضيح نفسيته وميوله ونزعاته ، بل إنّ العالم الروائي كله موقوف عليه ومتمحور حوله .

إنّ البطل رمزي صفدي ، الأستاذ في جامعة بيروت ، هو مثقف مهزوم ، يشعر بالقلق والتمزق والاضطراب ، وغير راض عن نفسه . لقد عاد من الغربة مع حبيبته باميلا بعد أن نال الشهادات العليا من الجامعات الأمريكية من أجل بناء وطنه ، لكنه يجد نفسه عاجزا على الاندماج في مجتمعه ، محاصرا في كلّ مكان بعقلية الجمود والاستكانة والرضى بالواقع الراهن ... إنه يتألّم لأنّ وطنه ، الذي يفتقد إلى أهمّ المؤسسات الحديثة المنظمة ، ينطق بالجمود والتخلف ...فكلّ شيء معطل : الشعب مدحور ومهزوم بل عاجز على أن يقدّم شيئا مفيدا ، والمؤسسات تقليدية ومعطلة ، والمواطن تائه في بحار الخوف والجهل والرعب (8) .

ما يؤخذ على هذا البطل أنّه يريد للتغيير أن يحدث بسرعة ، بنفخة ساحر ، وإلاّ فإنّه ينطوي على نفسه ويعيش حياته الخاصة . فهو يقف ضدّ التيار ، منتقدا كلّ ما هو موجود ، ولكنه لا يحاول أن يبذل جهدا من أجل إصلاح مجتمعه . نراه – مثلا– يشك في تحقيق النصر (حرب جوان 1967) ، وتشاؤمه نابع من نظرته إلى عدم وجود مؤسسات معاصرة تستفيد من

طاقات المثقفين وخبراتهم ، لكنه لا يجد وسيلة تمكنه من المساهمة الفعلية في الحرب ... إنّه مثل الألوف حوله لا يملك قوة لمواجهة الشرّ ... وما يضايقه هو عار اللامقاومة : فالجماهير غير مجندة ، بعيدة عن الساحة ، تكتفي بالتصفيق للبيانات الكاذبة ، طاقاتها مهدورة وخبراتها معطلة ...

إنّ أهمّ ما يميز هذا البطل هو معاناته لليأس وشعوره بلحظات الزمن تسحقه ... إنه يتألّم بقوة ولكنه لا يملك الوسائل لإحداث التغييرات التي يرجوها ... والملاحظ أنّه حينما يشعر بالعجز ، وتنسدّ آفاق المستقبل في وجهه ، يحاول تهدئة أعصابه بممارسة الجنس مع حبيبته الأمريكية باميلا ... وهكذا يستسلم للواقع بكلّ ما يحوي من خوف وفوضى .(9)

وحكاية رمزي مع باميلا تبلغ مرتبة الأسطورة : فهي مصدر سعادته وراحته ، تخضع دوما لطلباته ، تضع جسدها تحت تصرفه متى شاء ، وتستسلم لكلّ أوامره ، وتعبّر باستمرار عن وفائها له . إنّها ذلك

الكائن الذي ينقل البطل من همومه اليوميّة إلى مطلق من نوع خاص : العذوبة والتناغم ...

" عاد رمزي إلى منزله مع باميلا قبل الثامنة ... الساعات تمرّ وهو يصغي للراديو ، تجلس على المقعد المقابل تستفسر عمّا يقال ... وتمدّدت على المقعد ، ارتفع فستانها أكثر ، وازدادت المسافة بين ركبتيها . جلس قربها . تمدّد ... قالت مبتسمة :

– الا تكفيك مرة واحدة في اليوم ؟

– قال لها : أنا عربي وأحمل كبت ألوف السنين ...

ضحك . حاول أن ينسى الحرب والبلاد . يحاول ... تدفعه جانبا إنما تعود وتنقضّ عليه ... (10)

في الواقع ، إنّ باميلا تجسد الطمأنينة والجمال والنعومة . مثلها الأعلى هو التسامح والمحبة ، وعلاقتها مع حبيبها رمزي تتسم بالوضوح والصراحة المطلقة ... فهي تحاول دوما أن تساعده ، أن تخلق في داخله نوعا من التوازن النفسي، أي أن تعيد له الانسجام بعد الاضطراب والفرحة بعد الاكتئاب . إنها تعرف كيف تزوده بالحنان والتناغم ... وبفضلها لم يبق الجنس كابوسا بل أصبح

متنفسا وأملا .(11)

وباميلا ترفض باستمرار أن تتجرّد من إنسانيتها ، أن تتحوّل إلى أنثى تحقق اللذّة فقط ، وإنّما ترغب في ممارسة وجودها وحريتها بشكل مطلق ، نراها تعبّر عن أفكارها بصراحة وتدخل مع حبيبها في حوار لها خلفيات حضارية تتجاوز إطار الجنس ... فليس غريبا أن تنقلب الممارسات الجنسية التي تقيمها مع البطل إلى طقوس يتحرّر فيها الطرفان من جميع العقد النفسية .إنّه تواصل حقيقي أكثر منه ممارسة حيوانية .

لكنّ الملفت للنظر ، أنّ باميلا – على الرغم من تفهمها وغزارة حنانها – تُسهم ، بشكل أو بآخر ، في تقوية اغتراب البطل .فهي تخضع دوما لطلباته ، تمنحه الشهوة والهدوء ، تخذره بالعطف والحنان ، ولكنها لا تبذل أيّ جهد لتغيير سلوكه ، لا تساعده في البحث عن الإجابات الكافية عن الأسئلة التاريخية – الاجتماعية التي تثيرها قضايا بلاده ... فحتّى في الأردن ووقت الحرب تمنحه باستمرار جسدها وتمارس معه الجنس بكل راحة ،

وكثيرا ما تحوله إلى طفل موقظة فيه غريزة قوية ومدمّرة . وهذا يعني أنّها تدفعه إلى خوض معركته على مستوى ذاته فقط لا مع الواقع الخارجي بالدرجة الأولى .فما يهمّها هو تحرّره الداخلي بإشباع رغباته الذاتية ... فلا عجب ، إذن ، أن نراه ينصاع - بعد الممارسات الجنسية - للموقف السلبي ويبدأ ميله العاطفي يتجه نحو فلسفات التشاؤم واللاأمل ومشاعر العبث : يظهر له الواقع في ثوب رثّ لم يتغيّر فيه شيء ...

وخلاصة القول ، إنّ حليم بركات في رواية " عودة الطائر إلى البحر " هدف إلى الربط بين التحرّر السياسي والتحرّر الجنسي ، بين العنف والرعب والجمال والنعومة ... فكلّ مجتمع مغلق لا بدّ وأن يعاني من التخلّف والكبت ... وحيث يكون الانفتاح الجنسي وندرة العقد النفسية يكون التطوّر والتقدّم ...فلئن كان رمزي صفدي (النحن) يمثل فئة من المثقفين العرب الموسومين بعُقد الذكورية المكبوتة ، والمسكونين بالحزن والخوف والاحباط السياسي ، فإنّ باميلا (الآخر) ترمز إلى الحضارة الأمريكية المتطورة ، الصوت الغربي المتفهم والمتعاطف مع القضية العربية . إنّها الأنموذج ، الجمال والبهاء ، المرأة التي ترقى إلى

المستوى الإنساني الحق بعد أن تتحرّر نهائيا من كل عقدها ... (12)

ومن الواضح أنّ الروائي حليم بركات قد أتاح لشخصية باميلا فرصة التصرف في الرواية بحرية . فهو لا يتدخل قسرا في حركاتها بل يدعها تعبّر عن ى آرائها بطلاقة وتمارس مشاعرها تجاه البطل بهدوء ، الحبيبة المخلصة ... ومن الواضح أيضا أنّ الروائي قد استفاد من أسطورة « الهولندي الطائر » : فالوطن العربي يشبه هذا الهولندي الذي يتحتّم عليه الابحار عشوائيا في بحار الخوف والجهل والرعب ... ولن تحلّ عنه غضبة الآلهة حتى يجد من يخلص له حتى الموت ... ويبدو أنّ وصول الوطن العربي إلى شاطئ الأمان هو ضرب من المحال ... فالبحارة غير أكفاء لأنهم ليسو مخلصين حتى الموت ...(13)

4 - الأمريكية العربية :

في رواية " اليتيم " (1978) للمغربي عبد الله العروي (14) ، نعيش فترة من الزمن مع الأمريكية مارية

التي تجسد بوضوح موقف فئة من المثقفين من الغرب ، موقف الانبهار والانسلاخ والانغماس الأعمى في خدمة المصالح الأمريكية ...

ومارية هذه هي ، في الأصل ، فتاة مغربية ، " زيتونية البشرة " ، غادرت بلادها منذ خمسة - عشر عاما ، وأقامت في الولايات المتحدة الأمريكية ، وتجنست بجنسيتها ... ويبدو أنّها تلبست - أثناء غيابها الطويل في أمريكا - الهوية المحلّية ... لقد سمحت لها أمريكا بالتحرّر من كل التزاماتها العائلية والاجتماعية ، أبعدتها عن بلادها ووفرت لها كلّ الامكانيات المادية الضرورية : العمل في جهاز حكومي ، السكن في عمارة راقية ...

بعد هذا الغياب الطويل ، تعود مارية إلى الدار البيضاء ، (مسقط رأسها) لأجراء بحث علمي حول الواقع الاجتماعي والاقتصادي في المغرب . نلتقي بها في المطار (أين كان ينتظرها صديقها إدريس)وفي الدار البيضاء ومراكش وغيرها من المدن المغربية ... ويبدو واضحا أنّها لم تعد تشتاق إلى أحبائها وذويها : فهي لم تسأل عنهم و " لاتريد أن ترى أحداً منهم ... تعتبرهم أمواتا ".(15) لقد عادت إلى بلادها لسبب مهني

محض : دراسة الواقع المغربي كما هو بطرح أسئلة جاهزة دقيقة ، وبعبارة أخرى : وصف الحياة المغربية بطريقة ميكانيكية والنظر إليها من وجه واحد فقط : الوجه المادّي الذي تتجلّى فيه السلبيات والعثرات .

يمكن القول إنّ مارية قد أصيبت بمسخ تامّ : مظاهر التحول الذي أصابها لا تقتصر على تنكرها لماضيها وأصولها ، وإنّما تكمن أيضا في تغيير عقليتها ، فقدت – بشكل مطلق – هويتها وجذورها ، وأصبحت تنظر إلى الحياة بعيون أمريكية مجرّدة من كل المشاعر ... إنّها امرأة باردة الأحاسيس ، فاقدة لجميع الصلات التي تربطها بالأرض المغربية . فهي غير قادرة على التفكير في مواطنيها ولا في مشاكلهم وهمومهم ، غير مبالية بصديقها إدريس الذي كان يحبها إذ أصبحت تتعامل معه في حدود مهمتها التي جاءت من أجلها ، وعلاقتها معه تتحدّد بقدر ما يمكن أن يقدّم لها من مساعدة في إنجاز عملها . يقول إدريس :

" أرى امرأة أظنّ أنها مارية ولكن لا

علاقة بينها وبين تلك الفتاة التي عرفتها وناقشتها وأحببتها ..." (16)

ثم يقول :

" إنّها وحيدة ، حرة ، يتيمة ، مغتربة ، سائحة ..." (17)

كان إدريس يشاهد ما طرأ على صديقته مارية من تحوّل عميق وشامل ، ويتعجب كيف أصبح الغرب قادرا على مسخ الإنسان وتحويله إلى آلة فارغة من كل الأحاسيس وتعمل لصالح مؤسساته فقط . فمارية التي كانت في الماضي تذكّره بـ " شجرة الزيتون " لا وجود لها مطلقا في هذه المرأة القادمة من الولايات المتحدة الأمريكية . لقد أمست مارية المغربية مارية أخرى ، بلا تاريخ وبلا إنتماء ، منسلخة تماما عن الحياة التي انحدرت منها ومجرّدة من كلّ المشاعر العربية والوطنية ...

وخلاصة القول ، إنّ علاقة مارية بأمريكا هي علاقة إستلاب وانهيار فقط ... فما دامت الولايات المتحدة توفر لها كل التسهيلات فهي إذن الجنة والسعادة ، الأمل والمستقبل ... إنّ هذه الفتاة ، التي انبهرت بالحياة الأمريكية المُغرية ، ترمز إلى فئة من المثقفين العرب الذين انسلخوا بسهولة عن هويتهم وارتموا بشكل

نهائي في أحضان الغرب . فهي ضحية من ضحايا الولايات المتحدة الأمريكية الخصم اللذود للعالم الثالث الذي يعمل في الخفاء ويمسخ المثقفين العرب بتسخيرهم لمصالحه الخاصة . (18)

خاتمة:

لعل من المفيد أن نحاول جمع القول فيما انطوت عليه عناصر هذا البحث من تقاطعات وتمايزات لنرى أين انتهى بنا المطاف :

1- إنّ المرأة الأمريكية تمثل في الروايات المختارة تلك الأنثى الغربية التي تقصد الوطن العربي من أجل البحث عن الجنس واللذة (كلارانس) أو طلبا للراحة والاستقرار (ليزا وباميلا) أو لخدمة المصالح الأمريكية (ماريا) . فهي تستهدف إمّا التمتّع وإمّا الانعزال واجترار الذات ، وإما الركض وراء المغامرات من أجل تأدية خدمات معينة ...

2 - إنّ اللقاء بين المرأة الأمريكية والبطل الروائي (المثقف العربي) هو الوسيلة التي يكشف بها الروائيون أبعاد الحضارة الأمريكية . وهذا يعني أنّ نظرة الأبطال إلى المرأة الأمريكية تنسحب على الحضارة الغربية وعلى

كل منجزاتها . (19) ومن الواضح أنّ هذه النظرة ليست أحادية الجانب وإنّما هي متعدّدة الجوانب : الجانب الإنساني والعنصري / الجانب التاريخي / الجانب المادي والشهواني / الجانب الإيجابي (الحبّ ، الحرية ، المستوى الحضاري العام...)

3 - إنّ المرأة الأمريكية - التي تظل موضوعا للإشتهاء العنيف والرغبة في الانتزاع - لا تقدّم لأبطال الروايات الإجابات الكافية والشافية على الأسئلة المختلفة التي تثيرها قضايا الوطن العربي وهمومه . فهي تدعوهم إلى الانفتاح على حضارتها وتقدّم لهم أنواعا مختلفة من الراحة والسعادة ، ولكنها تبقى عاجزة على حلّ مشاكلهم . وهذا يعني أنّ تجربة التواصل معها لا تخفف من الآلام ولا تؤثر في جوهر رؤية (الأبطال) السلبية للحياة ...

4 - إنّ العلاقة بين المرأة الأمريكية والبطل الروائي هي علاقة حبّ وكراهية في الوقت نفسه... فزوال الاستعمار بكلّ أشكاله لم يغير كثيرا من طبيعة العلاقات بين المستعمِر والمستعمَر : الذكريات لا تبرح حية ، دامية والمشاعر ،

ما تزال متأججة . ولا ننسى أنّ موقف أمريكا من إسرائيل كان ولا يزال موقف الدعم الكلي : فأمريكا هي الدولة التي ساهمت بكامل طاقتها لقيام دولة إسرائيل عام 1948 ، وهي التي قامت بتزويدها ماديا وتغطية عجز ميزانيتها المستمر ...وهي التي تمدّها بالمعونات والسلاح .

شريفي عبد الواحد
جامعة وهران

الهوامش والمراجع

1- محمد غنيمي هلال ، الأدب المقارن ، بيروت ، دار العودة ، 428

2 – ولد غالب هلسا في قرية معين (جنوب الأردن) في 1932/12/18 ... وعاش معظم حياته متنقلا بين لبنان ومصر وسوريا والعراق . نفي وسجن أكثر من مرّة بسبب مواقفه السياسية التقدمية . ومن الغرابة أنّه توفي يوم ميلاده أي في 1989/12/18 . نذكر من رواياته : " الضحك " ، " الخماسين " ، " السؤال "، "سلطانة " ، " الروائيون " .

3 – غالب هلسا ، الضحك ، القاهرة ، ط 1 ، 152 .

4 - غالب هلسا ، الخماسين ، بيروت ، دار ابن رشد ، 1978 ، ص 106 .
5 - م. ن . 109
6 - م. ن . 123.
7 - ولد حليم بركات في الكفرون عام 1936 ، ونال الدكتوراه في علم النفس
الاجتماعي من جامعة ميشغن . وهو الآن يدرس في الجامعة الأمريكية
ببيروت . من رواياته : " القمم الخضراء " ، و " ستة أيام " .
8 - يردّ حليم بركات سبب هزيمة جوان 1967 إلى غربة المثقف وإلى افتقاد
المؤسسات العلمية الحديثة في الوطن العربي .
9 - من الواضح أنّ هذه الرواية تعتبر الجنس ملاذًا معوضا للخيبة واليأس .
10 - حليم بركات ، عودة الطائر إلى البحر ، 90

11 - يقابل بركات ، في كثير من الحالات بين الجنس والرعب في لقطات فنية
رائعة ؛ ويتضح ذلك من خلال الفقرات الجنسية التي تتخلّل السرد العنيف
لوقائع الحرب الدامية (جوان 1967) .
12 - لا يغفل الكاتب تصوير الحرية الجنسية عند باميلا مقابل الكبت
الجنسي عند البطل ... ومن هنا يبدو

معجبا بالحرية الأمريكية ، منحازا
بشكل واضح للحضارة الغربية .

13 – على الرغم من أنّ بركات يحمل الغرب مسؤولية التخلف في الوطن العربي ، فإنّ االقارئ يستوحي من النصّ بأنّه ليس مناوئا لهذا الغرب . فهو يرى أنّه حالما تزول أسباب التوتر سوف يرجع الحوار أكثر إيجابية بين العرب والغرب .

14 – عبد الله العروي مفكر وفنان مغربي ، ولد سنة 1933 بأزمّور وحصل على دكتوراه الدولة في التاريخ سنة 1976 . تقلد عدّة مناصب ديبلوماسية واشتغل أستاذا في المغرب ، وفرنسا وأمريكا .

15 – عبد الله العروي ، اليتيم ، دار النشر المغربية ، 36 .

16 – م . ن . 110 .

17 – م . ن . 36 .

18 – هذا الكلام يعني أنّ أمريكا تعمل باستمرار من أجل تثبيت هيمنتها .

19 – من المعروف أنّ المرأة الأمريكية تتحوّل ، في الكثير من الحالات ، إلى رمز للغرب ، في حين يصبح البطل الروائي رمزا للشرق الذي يستيقظ من نوم عميق .

L'image de la femme Américaine dans le roman arabe contemporain .

A . CHERIFI

Cette Communication se propose d'analyser l'image de la femme américaine dans les œuvres de trois grands romanciers arabes (Jordanie / Liban/ Maroc...). Son but est de réaliser une synthèse rendant compte de la façon dont ces romanciers voient « l'autre » ...

Quatre différentes images sont présentées par nos romanciers : la prostituée , la déracinée , l'intellectuelle-sage et l'Américaine /Arabe . Chaque image diffère de l'autre selon la position sociale et idéologique de l'auteur ...

Quoi qu'il en soit , cette femme américaine , à la fois belle et laide , aimée et détestée , incarne l'image d'une civilisation machiniste , minée par les maladies sociales et psychologiques . Elle est souvent présentée comme un être lubrique , habité par les pulsions du désir , un être qui préfère vivre les instants présents , répondre aux appels de sa chair sans scrupules ni pudeur .

Présentation de l'auteur

CHERIFI ABDELOUAHED

- Docteur es-lettres
- Professeur de la littérature comparée à l'université d'Oran .
- Publications dans de nombreuses revues nationales et internationales dans les domaines de la littérature comparée et de la traduction .
- Participation active à des dizaines de colloques nationaux et internationaux .
- Chef d'un projet de recherche sur « l'anthropologie et le roman »